أمسك عليك لسانك

19.12.2023

أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : كنت في سفر مع رسول الله فأصبحت يوما قريبا منه ، فقلت يا رسول الله (**أخبرني بعمل يدخلني الجنة**) فأخذ بلسانه ، وقال : (**كف عليك هذا**) فقلت يا رسول الله (**وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به**)

فقال : (**ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم**)

في هذا النص النبوي العظيم اجتمع عظمة السؤال مع عظمة الجواب ،

ولعلنا ندرك عظمة السؤال ، لأنه عن الجنة ، وهي أعظم ما يُسأل عنه

ولكننا للأسف نجهل عظمة الجواب

بل نعتبره لا يرقى إلى مقام السؤال وذلك لأننا نستهين باللسان مكانة وأثرا وهذا الشعور اعترى معاذ بن جبل لذلك قال متسائلا : (**وإنا لمؤاخذون بما نتكلم**)

ولعل ذلك الرد الحاوي للعتاب اللطيف (**ثكلتك أمك يا معاذ**) هدفه التنبيه لخطر اللسان الذي نجهله

(كف عليك هذا)

الجنة مقابل أن تضبط هذه القطعة اللحمية الصغيرة ، أداة البيان التي مُيز بها الإنسان ،

والتي عدها الله سبحانه من الآيات الدالة

على عظمة خلقه حين قال :

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)

فاللسان آية .. سبحان مبدعها وصانعها

هي واحدة في الشكل والمنظر عند كل البشر ، لكنها تنطق الكلمات واللهجات المختلفة والمتعددة

(كف عليك هذا)

أي احفظ لسانك فإنه لا ينجو من شر اللسان إلا من قيدها بلجام الشرع

ذاكرة لله داعية لدينه ناطقة بالخير صادعة بالحق

احفظ لسانك أيها الإنسان

لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه

كانت تخاف لقاءه الشجعان

(كف عليك هذا)

تعالوا نتأمل الأسباب التي جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يحصر الجواب باللسان

أولا : أن اللسان ترجمان القلب وسبب استقامته

يقول رسول الله فيما أخرج أحمد

(لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى تستقيم لسانه)

وأخرج الترمذي عن رسول الله أنه قال

(إذا أصبح ابن أدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان " تذل لها وتخضع " وتقول لها : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا)

ثانيا : أن اللسان مقياس الإسلام

سُأل رسول الله فيما أخرج البخاري في حديث أبي موسى الأشعري (أي الإسلام أفضل قال :

من سلم المسلمون من لسانه ويده)

وقال ابن مسعود : سألت رسول الله : (أي الأعمال أفضل ، فقال : الصلاة على وقتها ، قلت ثم ماذا يا رسول الله ، قال : أن يسلم المسلمون من لسانك)

ثالثا : أن ما تنطقه اللسان يدل على صدق الإيمان من عدمه

فالله عز وجل ما تحدث عن صفات أهل الإيمان إلا وكان للسان وما تنطقه حظا من تلك الصفات ،

يقول سبحانه (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)

وقال سبحانه

(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)

رابعا : أن اللسان تحدد مصير الإنسان الأخروي

وهذا ما بينه رسول الله لمعاذ حين قال :

(**وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**

وبمفهوم المقابلة : لسانك إلم تدخلك النار فإنها ستعلي مقامك في الجنة

أخرج مالك في الموطأ عن بلال بن الحارث أن رسول الله قال :

(**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله** ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ،

وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه)

وكان علقمة رضي الله عنه يقول :

(كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث)

خامسا : أن اللسان تحرق حسناتك التي تدخلك الجنة

فمن أقدم على الله بكلمات بذيئة ، وعبارات كاذبه ،

وألفاظ مليئة بالنفاق والغيبة والنميمة وعبارات حوت الاستنقاص من دين الله وشرعه والتشكيك في سنة نبيه ،

أقبل على الله مفلسا

أخرج مسلم وأحمد عن أبي هريرة :

أن رسول الله سأل أصحابه (**أتدرون من المفلس**) ، قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ،

فقال : (**المفلس من أمتي يوم القيامة** من يأتي بصلاة وصيام وزكاة ، **ويأتي** وقد شتم عرض هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وضرب هذا **فيُقعَد** فيقتصُ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يَقضي ما عليه ، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار)

(كف عليك هذا)

هذا العضو الصغير في حجمه الكبير في فعله وأثره ومآله يتوجب على كل مسلم أن **يتحرى سبل المحافظة عليه :**

أولا : قول الحق والخير :

فلا تنطق بلسانك إلا خير ولا تخرج منه إلا كلمات ترضي الله وتنصر الحق وتدعو للإسلام وتغيير المنكر وتنصح العصاة (**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرا أو ليصمت**)

ثانيا : الإمساك عن قول الباطل :

أخرج أحمد عن عبدالله بن عمرو

أن رسول الله قال (**من صمت نجا**)

وسأل عقبة بن عامر

رسول الله (**ما النجاة**)

فقال له : (**أمسك عليك لسانك**)

وقال ابن مسعود :

(والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من هذه اللسان)

ثالثا : إشغالها بالذكر

أخرج أحمد والترمذي أن رجلا قال يا رسول الله (**إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**)

وهذا معاذ بن جبل يسأل رسول الله عن أفضل الإيمان ، فقال له : (أن تحب لله وتبغض لله وتُعمِل لسانك في ذكر الله)

وأخرج الترمذي عن ابن عمر : أن رسول الله قال(لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس عن الله القلب القاسي)

وروت أم المؤمنين حبيبة عن رسول الله **أنه قال :** (كلام ابن آدم عليه لا له ، إلا ذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

رابعا : استشعار الموقف يوم القيامة

فمن أراد أن لا تكبه لسانه في النار فليتذكر دائما قول الله

(**سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا**)

(**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ**)

(**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**)

فلو استشعر المتحدث **و**الداعية **و**الاعلامي **و** المفسبك **و** المناقش في المقيل **و** المحاور في القضايا المختلفة أن أقواله وكلماته المنطوقة والمكتوبة **ترصد**

وتسجل عليه من قبل ملكين في الدنيا وستكشف أمام الملأ في الأخرة لكان حريصا منتبها لكل كلمة ينطقها أو يكتبها ،

فإنه لا فرق بين كلمات تنطق فتسمع وكلمات تكتب فتقرأ

خامسا : دوام المحاسبة والمعاتبة

دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق فرأه يجذب لسانه ،

فقال له (**مه .. غفر الله لك ،**

فقال : هذا الذي أوردني شر الموارد)

أبوبكر الصديق الموصوف بالصاحب في القرآن والخليفة الأول وأثقل المؤمنين إيمانا يخاطب نفسه هذا الخطاب ،

فما سأقول أنا وأنت لألسنتنا

فالصمت زين والسكوت سلامة
فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
فإذا ندمت على سكوتك مرة
فلتندمن على الكلام مرارا

هذا الحديث يختمه النبي صلى الله عليه وسلم بتساؤل يحمل حقيقة لا شك فيها

(وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)

فما زرعته لسانك اليوم يحدد الحصاد الذي ستجنيه غدا

فكم من الأعمال والأخلاق والأقوال ..

التي نهانا عنها الإسلام وحذرنا من عواقبها الوخيمة ، مصدرها ونقطة انطلاقها من اللسان

- ❖❖ شهادة الزور التي عدها رسول الله من الكبائر كلمة لسان
- ❖❖ الكذب الذي يهوي بصاحبه إلى النار
- ❖❖ النميمة التي يعذب بها في القبر
- ❖❖ التدليس على خلق الله بكلمات مغلفة ومصطلحات تحمل غير معانيها
- ❖❖ النفاق (**إن أخوف ما أخاف عليكم كل منافق عليم اللسان**)
- ❖❖ الرد على الوالدين ولو بلفظ (**أف**)
- ❖❖ اتهام الناس في أعراضهم
- ❖❖ الاستهزاء والسخرية بالناس وبالذات الصحابة و أئمة الفقه والحديث والصالحين وورثة الأنبياء وحملة الرسالة الذي توعد الله الساخر منهم بالويل (**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**)

فكل هذه وغيرها من المعاصي المهلكة هي .. ألفاظ تنطقها وتتحدث بها اللسان

كان رسول الله مع أم المؤمنين عائشة فأقبلت نحوه أم المؤمنين صفيه

فقالت عائشة كلمة تصف صفية بأنها قصيرة القامة ، فقال لها رسول الله (**يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**) أي عكرته

(يا بن السوداء)

هي كلمة قالها أبو ذر لبلال فقال له رسول الله (**إنك امرئ فيك جاهلية**)

ختاما :

أين الذين لا يتورعون عن نطق كلمات الإلحاد والعلمنة ، ويتصدرون منابر التبرير للفساد والظلم وأخذ حقوق الناس

أين الذين تفرغوا للاستنقاص من الدين والشرع ولا يكتبون ويتحدثون إلا بما فيه شبهة وتشكيك

أين الذين يخوض في الأعراض ، ويتفننون في نشر الأكاذيب والافتراءات ،

أين هؤلاء جميعا من قول رسول الله (كف عليك هذا) (وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)

ختاما أيها الأحبة :

هذه الوصية النبوية ينبغي أن نأخذها بجد وأن نجاهد أنفسنا لتحقيقها لنحمي هذه الأجساد من أن تكب في النار وتكن حطبا لجهنم والعياذ بالله

أسأل الله أن يجعلنا أقوالنا أقوال خير
وألسنتنا ألسنة صدق إنه ولي ذلك
والقادر عليه